مشكلات المجتمع الريفي

أهم مشكلات المجتمع الريفي

المجتمع الريفي كغيره من المجتمعات يعاني من مشكلات عدّة تتنوع بين الاجتماعية والاقتصادية والصحية والبيئية... وفي هذا الفصل سنحاول عرض أهم المشكلات التي تسود المجتمع الريفي العربي بشكل عام والسوري بشكل خاص.

أولًا_ مشكلات اجتماعية:

تعد المشكلات الاجتماعية أهم المشكلات التي يعاني منها كل مجتمع والتي تؤثر فيه، ونذكر منها: (الأمية ، والفقر، وعمالة الأطفال، وترويج المخدرات، والتسرب المدرسي وغيرها) من المشكلات الاجتماعية التي هي نتيجة العديد من الأسباب التي تؤدي إليها، مثل: عدم التكافؤ الاجتماعي بين الأفراد، وعدم وجود رقابة اجتماعية وغيرها.

ويوجد العديد من الخصائص التي تميز المشكلة الاجتماعية عن غيرها من المشاكل، مثل: الإحساس بها من قِبل العديد من السكان، وسعي الناس لعلاجها.

وفيما يأتي بعض المشكلات الاجتماعية التي يعاني منها المجتمع الريفي.

1- تعليم الفتيات:

إن ظاهرة حرمان الفتاة الريفية من حقها في إكمال تعليمها هي إحدى المشكلات الاجتماعية الأكثر انتشارًا في المجتمعات الريفية، ويقال المرأة نصف المجتمع، ولكننا نقول إن المرأة كل المجتمع، فهي الأم والأخت والزوجة والابنة، وهذا ما يؤكده الشاعر حافظ إبراهيم في قوله:

الأم مدرســة إذا أعددتهـا أعددت شعباً طيب الأعراق

لذا وجب على المجتمع الاهتمام بالمرأة، فهي المكملة لدور الرجل في بناء المجتمع، فنجد أن المجتمعات المتقدمة اهتمت بتعليم المرأة لأنه بالعلم تتقدم الأمم، لكننا نلاحظ ونشاهد حرمان الفتاة الريفية في مجتمعاتنا العربية من التعليم، وحتى إكمال تعليمها الجامعي، ويعود ذلك لمجموعة من الأسباب.

- أسباب حرمان الفتاة الريفية من التعليم أو الاستمرار فيه:
  - غياب الوعي التعليمي والثقافي لدى الأسر.
  - بُعد المدرسة عن منزل الفتاة بحكم ترامي بعض قرى الريف.
  - قلة الوعي لدى الآباء لتشجيع الفتاة على الدراسة ، لأنهم يفضلون شغل البيت ورعي الأغنام خصوصًا على دراسة البنت.
  - الفقر المدقع عند بعض الأسر؛ لذا تلجأ الأسر إلى منع بناتها من إكمال التعليم.
  - قلة الوعي لدى الفتاة نفسها بعدم التعليم في المدرسة.

- عدم توفير إمكانات التشجيع في مدارس البنات خصوصًا من مدرسات متخصصات ووسائل تعليمية.
- قلة الوعي لدى الآباء لأهمية دراسة الفتيات بحجة انهن ليس لهن مستقبل مثل الأولاد، وأنهن سيتزوجن في سن مبكرة.
- استسلام الفتاة الريفية للواقع وفقدانها للأمل وعدم مقاومتها للظروف والصعوبات وعدم تحديها للمستحيل حتى تكمل تعليمها وتحقق أحلامها [1].

2- عمل المرأة:

يُعَدُّ عمل المرأة من أكثر القضايا التي شغلت العالم في الوقت الحالي، حيث انقسمت بين مؤيدين ومعارضين للفكرة، حيث يفضل بعض أفراد المجتمع عدم انخراط المرأة في العمل، وضرورة مكوثها في البيت لترعى أطفالها وزوجها، بينما يشير البعض الآخر من الذين يؤيّدون عمل المرأة إلى أن عملها ضروري لتنمية المجتمعات وتنمية شخصيتها: وبين مؤيد ومعارض نجد أنّ هناك العديد من الإيجابيات والسلبيات لهذا الموضوع .

في المجتمع البدائي كان الرجل هو صاحب السلطة والرأي، واستمر وضع المرأة متمثلًا بالخضوع للرجل وتشريعاته وقوانينه دون مشاركة أو مساهمة من قبل المرأة، فالرجل يختار العمل ويترك الباقي للمرأة، إلى قيام الثورة الصناعية التي نادت بتحرر المرأة ومساواتها مع الرجل بالعمل.

وقد طرحت هذه القضية من منطلق الاستفادة من قوة عمل المرأة؛ وبالتالي جاءت الدعوة بحقها في العمل، ولم يكن ذلك تحرير المرأة أو مساواتها بالرجل؛ إذ إن تقسيم العمل في المجتمع الرأسمالي قد سخَّر قوة عمل المرأة في أعمال ليست ذات خطورة اجتماعية كأعمال (سكرتارية والتمريض والبيع بالتجزئة والتربية) ؛ وبالتالي الحفاظ على تقسيم العمل بين الرجل والمرأة ، على الرغم من أنه أكسبها خبرات اجتماعية جديدة كانت حكرًا على الرجل.

ومع التقدم التقني الذي استبعد شرط القوة العضلية من الإنتاج أصبح تشغيل الآلة سهلًا ومن دون أي جهد عضلي، فأصبحت مهمة العامل مراقبة الآلة، ولهذا السبب ازداد عدد النساء العاملات، وخاصة في القطاع الصناعي، واستطاعت المرأة العاملة أن تحقق بعض المكاسب من خلال مساهمتها في النشاطات الاقتصادية [2].

وتبرز أهمية دور المرأة في الوقت الحاضر من كونها تمثل جزءًا كبيرًا من الموارد البشرية للدولة، وإنَّ الاستخدام الأمثل لهذه الموارد، يعني تهيئة فرص العمل لكلا الجنسين والإسهام في عملية التنمية القومية، وعمل المرأة في الدول العربية يتمثل مشاركة الرجل في العمل منذ القدم ، ولكن الظروف التي مرّت بها البلاد العربية من احتلال أجنبي وما تبعه من تخلف في الجانب الاجتماعي والاقتصادي للمجتمع العربي عمل على تنمية بعض التقاليد

---

[1] - يحيى جار الله، تعليم فتيات الريف بين سلطة ذكور العائلة وطموح الفتيات، موقع الجمهورية، بتاريخ 12-11- 2009، آخر مراجعة للموقع بتاريخ: 24-4-2019.

https://www.yemeress.com/algomhoriah/17484

[2] - زيدان عبد الباقي، المرأة بين الدين والمجتمع، سلسلة الثقافة الاجتماعية والدينية للشباب (الكتاب الثاني)، مكتبة النهضة المصرية للنشر، القاهرة، 1977، ص 243.

والأفكار الرجعية بقصد التشكيك في قدراتها، وبعد زوال الاستعمار من أغلب الأقطار العربية تزايد عدد النساء العاملات وخاصة في التصنيع [3].

أ- دوافع المرأة إلى العمل:

هناك دوافع عديدة عملت على نزول المرأة لميدان العمل بصورة طوعية أو اضطرارية امتد نشاطها إلى شتى نواحي العمل، واقتحمت ميادين العمل المختلفة مستعينة بذلك بالثقافة والخبرة والصبر... ، وإن البحث في الدوافع يقودنا للتعرف مشكلات المرأة المتعلقة بالمتطلبات الإنسانية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية وقد أجريت عدة دراسات في هذا المجال منها عربية وأخرى أجنبية لمعرفة الدوافع التي تحفز على العمل لدى المرأة، وهي:

- **الدافع الاقتصادي:** إن الحاجة المادية تدفع المرأة للعمل، فضلًا عن مسؤولياتها كربَّة منزل وأم وزوجة تحمل تكاليف وأعباء معيشية لتعيل نفسها، وأسرتها في حال كانت أرملة أو مطلقة . ويعد عمل المرأة ظاهرة حضارية، وأن خروجها لم يعرقل أداءها لدورها الأساسي كربة منزل وزوجة؛ بل استفادت من إمكاناتها الفكرية والمادية لمواجهة متطلبات الحياة والخوف من المستقبل [4].

كما أن ارتفاع تكاليف المعيشة أدى لخروج أعداد متزايدة من النساء في سورية إلى العمل خارج المنزل؛ الأمر الذي أسهم في ارتفاع نسبة القوة العاملة النسائية السورية من إجمالي القوة العاملة من 10.7 % إلى 21.4% في قوة العمل السورية بين عامي 1970-2002 [5] .

- **الدافع الاجتماعي**: تقع على المرأة مسؤوليات وأعباء عائلية؛ فضلًا عن مسؤولياتها في العمل وممارستها للأنشطة الاجتماعية والثقافية والاجتماعية، واستطاعت أن توفق بين أداء واجبها في العمل ومسؤولياتها في الأسرة، فالأسرة هي وحدة اجتماعية يقع عليها عبء تغيير العادات والتقاليد التي لا تتلاءم مع الوضع الحالي.

إن الدوافع الاجتماعية تؤدي دورًا مهمًّا في تحفيز المرأة نحو العمل، ولقد أثبتت المرأة مكانتها بوصفها إنسانًا مبدعًا يسهم في عملية التنمية الاقتصادية، واستطاعت بواسطة العمل أن تغير أمورًا عدة، نذكر منها:

- أن تكافح ضد النظرة السلبية المتخلفة لعمل المرأة.

- المساهمة في الحياة العامة، وفي عملية التنمية الاقتصادية. فبواسطة العمل تستطيع المرأة أن تحافظ على سرعة بناء الاقتصاد الوطني [6].

---

[3] - انظر: خضر زكريا، عمل المرأة في الوطن العربي الواقع والآفاق، مجلة العلوم الاجتماعية، المجلد 14، العدد 3، جامعة الكويت، الكويت، 1986، ص114-116.

[4] - انظر: راوية عبد الرحيم يأس، دور المرأة وإمكانية مساهمتها في قوة العمل الوطنية، العدد 7، السنة الثامنة عشرة، الاتحاد العام لنساء العراق، العراق، 1986، ص 23-25.

[5] - المصدر: المكتب المركزي لإحصاء، وصف سورية المعلومات، 2003، ص 2-3.

[6] - انظر: اليانور فلكستر، نضال المرأة لنيل حقوقها وحريتها، تـ: كدار بصما رجي، دار اليقظة، بيروت لبنان، 1959، ص 70-135.

- **الدافع السياسي**: إن شعور المرأة بأنها تسهم في بناء مجتمعها من خلال العمل دافع سياسي مهم.

فضلًا عن تأثير الأحزاب المتمثلة بتنظيماته وتعليماته التي تُعَدُّ عاملًا مهمًّا دفع المرأة إلى العمل، كما أن توفير التعليم على نطاق واسع للمرأة، وتوفير فرص العمل لها، ومساواتها بالرجل في النواحي القانونية من الأمور التي تقع على عاتق الدولة؛ فضلًا عن توجيه الإعلام من المنظمات النسوية حول أهمية دور المرأة في العمل [7].

- **الدافع الشخصي:** ونقصد به الدوافع التي توجد في شخصية المرأة، وفي تكوينها النفسي والفكري ويؤثر في موقفها من مسألة العمل، وقد ناضلت المرأة من أجل نيل حقوقها الإنسانية والتي تعد فيها حرية العمل أهم حق وفتح مجالاته أمامها، وقد تعددت أشكال هذا النضال طبقًا للأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي تنطلق المرأة من داخلها للتعبير عن مطالبها بحق من الحقوق، فلم يكن خروج المرأة للعمل من دون أهداف وغايات تطمح لتحقيقها سواء أكان تعزيزًا لمكانتها الاجتماعية أو تعزيزًا لشخصيتها وصحتها النفسية وتطوير قدراتها الشخصية والتعليمية ، وقد يكون السبب في عمل المرأة عدم وجود معيل يعيل العائلة، وكذلك التقدم الصناعي الذي خلق أعمالًا متنوعة تدفع المرأة إلى العمل، والاستفادة من فرص التدريب التي تنمي مهارتها [8].

ب- المرأة الريفية والعمل بين الرفض الاجتماعيّ والتحدّيات:

تواجه المرأة العديد من المعوّقات التي تحول بينها وبين الالتحاق بسوق العمل، وتجعلها حبيسة منزلها، ومَن تمكّنت من تجاوز هذه الصعوبات والالتحاق بسوق العمل في القطاع العامّ أو الخاصّ، إلّا أنّهنّ ما زلن يواجهن العديد من التحدّيات فيما يتعلّق بشخصيّة المرأة أو بمحيطها الاجتماعيّ أو بما يتعلّق ببيئة العمل والقوانين ذات الصلة بالنساء وحقوقهنّ والواجبات.

ونجد إجمالًا أنَّ المشاركة لم تكُن عند مستوى الطموح، وتركّزت مشاركاتها في النشاط الاقتصاديّ بمجالات محدودة وبنسبة ضئيلة مقارنةً بتواجد الرجل؛ الأمر الذي أنتج فجوة كبيرة في النوع الاجتماعيّ في كلّ مجال من تلك المجالات المحدودة، وتُظهر هذه المشاركة مدى وعي المرأة بحقوقها الإنسانيّة والوطنيّة والعمل لتفعيل دورها الاقتصاديّ والاجتماعيّ للدفع بعجلة التنمية؛ فضلًا عن تشجيع بعض الأُسر لبناتهم للانخراط بسوق العمل الناتجة عن تحسّن نظرة البعض نحو عمل المرأة وأهمّيّة مشاركتها في الأنشطة الاقتصاديّة.

ت- ظروف عمل المرأة العربية الريفية:

تشير الظروف التي تعمل في أجوائها المرأة العربية إلى:

- أكثر فئـات العمل محرومة من مظلة الضمان الاجتماعي؛ لأن أغلب النسـاء يعملن - أساسًا - في القطاع الزراعي، كما أن نسبتهن في ترك العمل قبل اكتمال المدة القانونية للحصول على المعاش أكثر من نسبة العمل من الذكور

---

[7] - **سهيلة محمد عباس، إدارة الموارد البشرية مدخل استراتيجي، ط2، دار وائل، الأردن، 2006، ص 255.**
[8] - **انظر: إبراهيم النعمة، عمل المرأة بين الإسلام والغرب، كتيب، مطبعة الزهراء الحديثة المحدودة، العراق، 1996، ص9.**

- أقل فرص للترقية؛ لأن غالبيتهن يعملن في مستويات متدنية تنعدم فيها- أغلب الأحيان - آفاق التدرج في المواقع، كذلك إمكانات الحصول على التأهيل والتطوير؛ وبالتالي الترقي لتولي مناصب إدارية متقدمة، أو غيرها من مراكز صنع القرار.

- أقل مستوى في التمثيل في النقابات والمنظمات العمالية الأخرى؛ فضلًا عن أن غالبية النساء غير منظمات في مواقع العمل؛ مما يحدُّ من إمكانية تحقيق مطالبهن، وتحسين وضعهن.

- أدنى خبرة فنية وإدارية؛ لأنهن أقل فرصة من الإفادة من فرص دورات التدريب، ورفع كفاية مهارتهن الفنية، كما أنهن أقل فرصة من الإفادة من فرص التثقيف العمالي، ورفع قدرتهن الفكرية والثقافية.

- تَحمل المرأة لأعباء واسعة، وبذلها لجهود كبيرة؛ لأن عليها أن تجمع بين العمل والأعباء الأسرية وتربية الأبناء [9].

ث- أهم معوقات عمل المرأة العربية:

- **العادات والتقاليد:**

كثيرة هي المشكلات والمعوّقات التي تواجهها المرأة في المجتمع العربيّ، لا سيّما في مجال العمل، فبعضها يعود للعادات والتقاليد، والبعض الآخر للمشكلات التي تواجهها المرأة فيما يتعلّق بمجال العمل.

ومنه فإنَّ مشاركة المرأة في التنمية الاقتصاديّة والاجتماعيّة في المجتمع منخفضة بشكل كبير؛ وذلك نتيجة للمشكلات التي تواجهها، ومن أبرزها: التهميش وإبعادها عن أداء دورها الفاعل والمهم في عمليّة التنمية؛ فضلًا عن عوامل أخرى كثيرة كالتمييز القائم على أساس الجنس أو النوع الاجتماعيّ، معَ حرمانها من التعليم ؛ الأمرُ الذي أدّى إلى ارتفاع نسبة الأمّيّة بين النساء مقارنًة بالرجال، أيضًا عدم السماح لها بالمشاركة في سوق العمل من قبل أسرتها.

ومن الأسباب أيضًا، عدم إيمان بعض الأُسر بأنّه من حقّ المرأة أنْ تلتحق بسوق العمل طالما لديها القدرة على إثبات نفسها.

- **التخلّف وثقافة العيب:**

هناك قيود يفرضها المجتمع على نوعيّة العمل الذي يليق بالمرأة والذي يناسبها، كما أنّه لا توجد هناك قوانين مفعّلة لحقوق المرأة أو لحمايتها مِن العنف، وهناك عوائق نفسيّة مرتبطة بذات المرأة نفسها واستسلامها وخضوعها للثقافة الذكوريّة، فضلًا عن قبولها بأنْ تلعب أيّ دور يوكل إليها.

إنّ ثقافة العيب التي يمارسها المجتمع كما أنّ خوفها من خوض غمار التجرِبة بممارسة أعمال غير تقليديّة أو الطموح بتسلّم مناصب قياديّة تكون فيها صاحبة القرار والموقف، ومع هذا تمكّنت كثير من النساء من تجاوز هذه العقبات؛ بسبب ثقتهنّ بأنفسهنّ وإمكانيّاتهن.

وعلى النقيض تمامًا من نجاح المرأة في تخطّي ثقافة العيب فإنّ التخلّف وإن اختلفت معدّلاته من مجتمع عربيّ لآخر ، فإنّه ما زال يضرب في مقتل وضع المرأة؛ ما انعكس أحيانًا

---

[9] - دينا فهمي خالد جبر، الصعوبات التي تواجه المرأة الفلسطينية العاملة في القطاع العام في محافظات شمال الضفة الغربية، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، 2005، ص 18. (رسالة ماجستير).

على تقويم المرأة بشكل مهين، علاوة على النظرة الدونيّة للمرأة مِن قبل الرجل وكثرة المسؤوليّات المنزليّة التي حصرت عمل المرأة في المنزل ؛ إلى جانب الحدود والشروط التعجيزيّة التي يضعها سوق العمل؛ هذا بالإضافة إلى التعصّب القبليّ ضدّ المرأة .

- **سلطة الرجل:**

إنّ الرجل هو السبب الرئيس في حرمان المرأة من العمل؛ وذلك نتيجةً لعقليّته المحصورة والمقيدة بعادات الآباء والأجداد؛ فضلًا عن العيب الاجتماعيّ، وطبيعة بعض الأعمال التي لا تُناسب المرأة.

وترجع قدرة المرأة على تجاوز هذه المسائل من خلال دعم المرأة نفسيًّا من قبل الأهل في المنزل، وبعض العقليّات المتفتّحة خارج المنزل، وقوّة إرادة المرأة نفسها وانتقاء العمل المناسب لها، فالمشكلات موجودة في العمل للرجل والمرأة على حدّ سواء، ولكن هناك بيئة لا تناسب المرأة لممارسة عملها بأريحيّة في بعض الأعمال، ومنها الأعمال التي تحتاج لنزول ميدانيّ، فالغيرة من نجاح المرأة في سوق العمل تعدُّ أبرز المشكلات التي تواجهها المرأة في مجتمعاتنا العربية، وهو ما يعدّ سببًا من أسباب انحصار عمل المرأة بأعمال معيّنة، وهو ما يمنعها من استغلال مواهبها في ممارسة بعض الأعمال، ومع هذا فقد تمكّنت المرأة من تجاوز بعض تلك الصعاب [10].

- **أماكن العمل:**

من أهمّ الأسباب التي تمنع المرأة من الالتحاق بسوق العمل أنّ أماكن العمل تكون في أغلبها أماكن مختلطة، وحفاظًا على المرأة وكينونتها يتمّ منعها من العمل من قبل أهلها، أكان أبًا أو أخًا أو زوجًا، ومع هذا فقد استطاعت المرأة في الآونة الأخيرة تجاوز كلِّ المعوّقات التي تقف في طريقها لتحقيق ذاتها كفرد عامل قادر على الإنتاج، من خلال ثقتها الكبيرة بنفسها، وثقة الأهل ودعمهم لها أيضًا.

كما أنّ هناك نساءً ترى أنّها غير ملزمة بالعمل، وأنّ الرجل هو المسؤول الأوّل والأخير عنها حتّى لو أنّ بعضهنّ لهنّ القدرة على العمل، ومع ذلك ترفض؛ حتّى لا يتّكل عليها الرجل، وقد يكون السبب أيضًا سيطرة الرجل واعتقاده بأنّه يجب على المرأة ألا تعمل لأيّ سبب كان، ويعد هذا انتقاصًا في حقّه، وهذا أكبر خطأ يرتكبه معظم الناس في مجتمعنا بعدم إشراك المرأة في بناء المجتمع، وحصر مسؤوليّاتها في عمل البيت، وتلبية رغبات الرجل وتربية الأولاد .

- **العامل الديني:**

وعلى الرغم من أن الموقف الديني واضح من عمل المرأة ودورها في المجتمع إلا أن بعض المجتمعات تتشدد في عدم السماح للمرأة في النزول لميدان العمل.

---

[10] - انظر: دينا فهمي خالد جبر، الصعوبات التي تواجه المرأة الفلسطينية العاملة في القطاع العام في محافظات شمال الضفة الغربية، مرجع سبق ذكره، ص 19-20. (رسالة ماجستير).

فالإسلام لم يمنع المرأة من العمل؛ بل حث المسلم والمسلمة على الكسب الحلال والعمل الخالص ، وفي صدر الإسلام تقلدت المرأة مناصب إدارية واجتماعية وسياسية وحربية، ونزلت إلى ميدان العمل على أن يكون العمل مناسبًا وملائمًا لقدراتها.

- **ويمكن تلخيص المعوقات التي تواجه المرأة العربية العاملة، من خلال جملة من التحديات يمكن تصنيفها بـ:**
- **التحديات الثقافية والاجتماعية، وتتمثل بـ:**

- ازدواجية الأدوار التي تقوم بها المرأة العربية، فالمرأة العربية عليها أن تعمل خارج المنزل، طبقًا للمعايير الحديثة، وعليها أن تعمل داخل المنزل، طبقًا للمعايير التقليدية.

- التقاليد والأعراف السائدة في الدول العربية حيث تضع هذه الدول الكثير من القيود على مساهمة المرأة خارج المنزل.

- سيطرة النظام الأبوي، جعل الرجل هو (المعيل)، وأصبح أفراد الأسرة عيالًا مهما كانت درجة مشاركتهم له في العمل.

- قلة وعي المرأة بذاتها، أو وعيها الزائف بذاتها. فالتحدي هنا مرتبط بعدم رؤيتها لإنسانيتها ووضعيتها، وقد يرجع ذلك إلى انغلاق المجتمع الذي تعيش فيه ومحدودية الواقعين السياسي والاقتصادي اللذين تشارك فيهما.

- **التحديات الاقتصادية والتنظيمية وتتمثل بـ:**

- نقص التدريب المهني والاستيعاب الأمثل لتكنولوجيا العصر، والتدريب المهني المسموح به للمرأة العربية محصور في مهن الخياطة، التعليم، التمريض، والطباعة ... وهي مهن تتماشى مع أدوار المرأة التقليدية بعد الزواج وإنجاب الأطفال.

- القهر الاقتصادي يقع على المرأة العربية العاملة، فإما أن تعمل داخل المنزل أو داخل العائلة من دون أجر، أو أن تعمل في الأعمال النسوية والخدمية، أو تعمل في مستوى الإدارة الوسطى بعيدة عن المناصب العليا، وبعيدة عن المشاركة في اتخاذ القرار.

- القهر الاجتماعي يقع على المرأة العربية العاملة، ويرجع ذلك لتبعيتها الاقتصادية للرجل.

- ضعف دور المرأة العربية العاملة في قيادات النقابات والمنظمات، وضعف اهتمامات قيادات هذه النقابات بأوضاعها، وحاجاتها، لأسبابها من أهمها: سلبية المرأة وترددها في التعبير عن حاجاتها والمطالبة بمعالجتها. كما أن الحركة النسائية العربية ارتبطت بشرائح اجتماعية معينة، ولم تعبر عن القاعدة العريضة للمرأة العربية.

- على الرغم من انتشار التعليم وإلزاميته في معظم البلاد العربية، إلا أنه لم يساعد النساء على تفهم حقهن في العمل، فالتعليم كنظام اجتماعي يعكس تخلف البناء الذي يشكل النظام التعليمي أحد أجزائه [11].

3- العنف ضد المرأة:

تعاني غالبية النساء في المجتمعات العربية والريفية خصوصًا من مشكلة العنف؛ إذ تتعرض إلى العديد من أنواع العنف، مثل: العنف الجسدي، والعنف الجنسي، وغيرها، ويوجد العديد من الأسباب وراء هذه المشكلة، ونذكر منها: العادات والتقاليد المجتمعية التي تنص على تعنيف المرأة، وسكوت المرأة وخضوعها.

إن تاريخ (العنف ضد المرأة) غامضًا في الأدبيات العلمية بسبب أن العديد من أنواع هذا العنف (وتحديدًا الاغتصاب والاعتداء الجنسي والعنف المنزلي) لم يُفصح عنه بشكلٍ كامل وغالبًا ما يرجع إلى المعايير الاجتماعية والمحرّمات ووصمة العار والطبيعة الحساسة للموضوع. من المعترف به على نطاقٍ واسع أن الافتقار إلى البيانات الموثوقة والمستمرة حتى اليوم يمثّل عقبة في تشكيل صورةٍ واضحة للعنف ضد المرأة .

على الرغم من صعوبة تتبع تاريخ العنف ضد المرأة، إلا أنه من الواضح أن الكثير من العنف قد تم تقبّله والتغاضي عنه والإقرار به قانونيًّا. من الأمثلة على ذلك أن القانون الروماني أعطى الرجال حق تأديب زوجاتهم حتى لو وصل الأمر حد الموت.

ويرتبط تاريخ العنف ضد المرأة ارتباطًا وثيقًا بالوجهة التاريخية للنساء كملكية ودور جنسي في التبعية.

وتشرح تفسيرات النظام الأبوي والنظام العالمي الشامل الوضع الراهن الذي توجد فيه أوجه عدم المساواة بين الجنسين، وتستمر في شرح نطاق العنف وتاريخه ضد المرأة .

إن إعلان الأمم المتحدة بشأن القضاء على العنف ضد المرأة في عام 1993م، ينص على أن العنف ضد المرأة هو مظهر لعلاقات القوة غير المتكافئة تاريخيًّا بين الرجل والمرأة والتي أدت إلى الهيمنة والتمييز ضد المرأة من قبل الرجل ومنع النهوض الكامل بالنساء، وأن العنف ضد المرأة هو أحد الآليات الاجتماعية الحاسمة التي تضطر النساء من خلالها إلى وضع التبعية مقارنةً بالرجال.

ومنه، فإن العنف ضد المرأة أو **العنف ضد النساء** كما يُعرف باسم **العنف القائم على نوع الجنس** هو : مصطلح يستخدم بشكل عام للإشارة إلى أي أفعال عنيفة تمارس بشكل متعمد أو بشكل استثنائي تجاه النساء. ومثله كجرائم الكراهية، فإن هذا النوع من العنف يستند إلى جنس الضحية كدافع رئيس وقد يكون جسميًّا أو نفسيًّا .

فيما عَرّفت الجمعية العامة للأمم المتحدة العنف ضد النساء على أنه: " أي اعتداء ضد المرأة مبني على أساس الجنس، والذي يتسبب بإحداث إيذاء أو ألم جسدي، جنسي أو نفسي للمرأة ، ويشمل أيضًا التهديد بهذا الاعتداء أو الضغط أو الحرمان التعسفي للحريات، سواء حدث في إطار الحياة العامة أو الخاصة" .

---

[11] - انظر: دينا فهمي خالد جبر، الصعوبات التي تواجه المرأة الفلسطينية العاملة في القطاع العام في محافظات شمال الضفة الغربية، مرجع سبق ذكره، ص 4-5. (رسالة ماجستير).

كما نوّه الإعلان العالمي لمناهضة كل أشكال العنف ضد المرأة الصادر عام 1993م بأن "هذا العنف قد يرتكبه مهاجمون من كلا الجنسين أو أعضاء في الأسرة أو العائلة أو حتى الدولة ذاتها" [12] .

- **أنواع العنف الموجه ضد المرأة:**

- **الاغتصاب:** هو نوع من الاعتداء الجنسي وعادةً ما يتضمن الاتصال الجنسي. يُرتكب الاغتصاب من قبل الرجال ضد الأولاد والنساء والبنات. ويُعتدى على النساء أكثر من الأولاد والبنات وبالأغلب من قبل شخص يعرفهم.
- **العنف المنزلي:** إن النساء هن أكثر عرضة للأذى من قبل شخص تربطهن به علاقة حميمة ، ويطلق عليه عادة عنف الشريك الحميم .
- **الزواج القسري :** هو زواج يتزوج فيه أحد الطرفين أو كليهما ضد إرادتهما . إن الزواج القسري شائع في جنوب آسيا والشرق الأوسط وإفريقية .
- **التحرّش الجنسي:** يُعَدُّ التحرش الجنسي سلوكًا سيئًا وغيرَ مدعوم وغيرَ مرحب به ذا طبيعةٍ جنسية، يحدث عادةً في مكان العمل أو الدراسة قد يتضمن الترهيب أو التنمر أو الإكراه أو يستخدم الوعدَ الكاذبَ بالمكافآت مقابل الحصول على خدمات جنسية .
- **جرائم الشرف:** جرائم الشرف هي شكلٌ شائع من العنف ضد المرأة في أجزاءٍ معينة من العالم. تُرتكب جرائم الشرف من قبل أفراد الأسرة (عادةً الأزواج أو الآباء أو الأعمام أو الأخوة) ضد النساء في الأسرة الذي يُعتقد أنهن سيجلبن العار للأسرة حيث يُعتقد أن موت المرأة المشينة سيعيد الشرف للعائلة [13] .

وتعمل حكومات ومنظمات حول العالم من أجل مكافحة العنف ضد النساء، وذلك عبر مجموعة مختلفة من البرامج منها قرار أممي ينص على اتخاذ يوم 25 نوفمبر من كل عام كيوم عالمي للقضاء على العنف ضد النساء.

كما أكدت الأدلة التي جمعها الباحثون من الأبحاث الميدانية الطبيعة المنتشرة والأشكال المتعددة للعنف ضد المرأة؛ فضلًا عن حملات الدفاع عن المرأة، والاعتراف بأن العنف ضد المرأة ظاهرة عالمية منهجية وجذورها مغروسةٌ في اختلالات التوازن والانعدام الهيكلي للمساواة بين الرجل والمرأة. وكان تعريف الصلة بين العنف ضد المرأة والتمييز مسألة رئيسة .

وأسهم عمل اللجنة المعنية بالقضاء على التمييز ضد المرأة، وهي الهيئة التي أنشئت بمعاهدة في عام 1982م لرصد تنفيذ اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة، مساهمةً كبيرة في الاعتراف بأن العنف ضد المرأة هي مسألة حقوق إنسان. ومما يذكر أن الاتفاقية لا تشير بصراحة إلى العنف ضد المرأة، لكن اللجنة أوضحت أن كل أشكال العنف ضد المرأة تقع ضمن تعريف التمييز ضد المرأة كما هو مبين في الاتفاقية. وتدعو اللجنة الدول الأعضاء بانتظام إلى اعتماد تدابير لمعالجة هذا العنف. ولاحظت اللجنة في توصيتها العامة عام

---

[12] **- العنف ضد المرأة، موقع ويكيبيديا، آخر مراجعة للموقع بتاريخ: 15-8-2019.**
https://ar.wikipedia.org/wiki

[13] **- هديل شلش، أشكال العنف ضد المرأة، موقع موضوع، 26-12-2018.**
آخر مراجعة للموقع بتاريخ: 15-8-2019:
https://mawdoo3.com

1989م أنه من واجب الدول القيام بحماية المرأة من العنف بموجب مختلف مواد الاتفاقية، وطلبت منها أن تضع معلومات في تقاريرها الدورية إلى اللجنة عن حوادث العنف وعن التدابير التي اعتمدتها لمكافحته [14].

ولقد لقي العنف ضد المرأة اهتمامًا متناميًا من الأمم المتحدة باعتباره شكلًا من أشكال التمييز ضد المرأة وانتهاكاً لحقوق الإنسان. وألزم المجتمع الدولي نفسه بحماية حقوق الفرد، وكرامته بمعاهدات وإعلانات متعددة. وعلى الرغم من الانتباه المتزايد لحقوق المرأة لم يحدث تقدم يذكر في تقليل العنف المرتكب ضد المرأة. وتستنتج من هذه الدراسة أن العنف ضد المرأة لم يتلقَ بعد انتباهًا على سبيل الأولوية ولا الموارد اللازمة على جميع المستويات لمعالجته بالجدية اللازمة والوضوح اللازم. وتسعى الدراسة إلى تقديم أدلة وتوصيات تساعد الحكومات والمؤسسات غير الحكومية والمجتمع المدني على معالجة هذه المسألة، وإزالة هذا الظلم العالمي .

حيث أظهرت إحصائيات حول العنف ضد النساء أن ما يقارب (105,000) من النساء العربيات تعرضن لأحد أشكال العنف في عام 2018. ووصلت نسبة العنف ضد النساء في التجمعات السكنية المختلطة إلى (60.8%) في المجمل، بواقع (59.1%) تعرضن لعنف كلامي أو نفسي و (20.9%) للعنف الجسدي. وما يقارب (20,000) من النساء العربيات تعرضن لاعتداء أو تحرش جنسي خلال عام 2018، كذلك أظهر التقرير أنّ حوالي (67,000) امرأة عربية تعرضت للعنف عبر الشبكات الإلكترونية (الإنترنت وغيرها). وحوالي (230,000) من النساء العربيات ، (47.2%)، أفدن أنهن لا يشعرن بالأمان، بل يشعرن بأنهن مهددات ليكُنّ ضحايا للعنف [15].

4- الطلاق:

يُعَدُّ الطلاق من الظواهر الاجتماعية التي لا يخلو منها أي مجتمع من المجتمعات الإنسانية لارتباطها الوثيق بحركة العلاقات الاجتماعية السائدة بين الأفراد والجماعات والتي تتحكم فيها مجموعة العوامل والمؤثرات الداخلية والخارجية، وقد يتقبل المجتمع الطلاق عندما تفشل المساعي والجهود كافة لتجاوز العوامل المسببة له.

كما أن ارتفاع معدلات الطلاق حولته من مجرد ظاهرة اجتماعية إلى مشكلة اجتماعية، تؤثر في تماسك الأفراد والجماعات التي تعيش فيه، وتلقي بظلالها على النظام الاقتصادي السياسي بقدر تأثيرها في النظام الاجتماعي .

تُعَدُّ الحياة الاجتماعية هي الصورة الحقيقية للمجتمع ذاته، حيث تكون هذه الحياة محصلة تضافر عوامل سياسية واقتصادية وجغرافية وتربوية ودينية واجتماعية لذلك المجتمع، لذلك كان من الأهمية الكبرى دراسة هذه العوامل عند دراسة أية حياة

---

[14]-See: Antrobus, P., The Global Women's Movement: Origins, Issues and Strategies London, Zed Books– 2004, and Bunch, C., Passionate Politics, New York, St. Martins Press, 1987,P 38- 47.

[15] - مركز البحوث الاجتماعية التطبيقية (ركاز) في جمعية الجليل، إحصائيات: ارتفاع نسبة العنف ضد المرأة العربية بالبلاد، موقع عرب48، بتاريخ: 7-3-2019. آخر مراجعة للموقع بتاريخ: 29-4-2019.

https://www.arab48.com.

اجتماعية، لما لها من تأثير كبير في هذه الحياة وخاصة ما تتأثر به الحياة الأسرية من زواج وطلاق [16] .

فالطلاق لا يكون وليد اللحظة، فلا بد من وجود تراكمات قديمة وحديثة، نفسية واجتماعية أثرت في تلك العوامل، تزايدت مع ضغوطات وأحداث طارئة بعد الزواج لم تكن بالحسبان ولم يستعد لها الزوج والزوجة، بالرغم من اختلاف هذه العوامل، فإن أسباب الطلاق لا تختلف كثيرًا من بيئة إلى أخرى، إذ تبقى ظاهرة الطلاق ظاهرة إنسانية لا ينفرد بها مجتمع، ولكن قد تتصدر أسبابًا نراها في بعض المجتمعات رئيسة في الوقت الذي تكون فيه لدى الآخرين ثانوية، كذلك يتحكم الزمان بهذه الأسباب، وتتحكم بها عوامل سياسية واقتصادية وجغرافية .

إن دراسة الطلاق وأسبابه ليست دراسة حديثة، فقد تناولها العديد من علماء الاجتماع، وكلٌّ أدلى بدلوه، وكانت أسبابه تتعلق بالبيئة أو الزمن أو الوقت التي أجريت فيها الدراسة.

أ- أسباب الطلاق:

قسم علماء الاجتماع أسباب الطلاق إلى نوعين:

- **أسباب خاصة :** من جهة الزوج أو من جهة الزوجة، والتي تتعلق بمرض معدٍ أو مرض يمنع أحد الطرفين من استمرار الحياة الزوجية وأداء وظائفها، والعقم والكراهية والخيانة الزوجية وسوء الأخلاق وإهمال الواجبات الزوجية والمعيشية والمنزلية، أو فارق السن أو سوء المعاملة أو تعدد الزوجات بالنسبة للرجل .
- **أسباب عامة:** كالعامل الاقتصادي، لأن المال هو عَصب الحياة، ولذا فإن نزول المرأة للعمل وحصولها على حريتها وازدياد ثقتها بنفسها من خلال شعورها بقيمتها وشخصيتها بالحياة، ولذا قد فتح منافذ جديدة للاختلاف والائتلاف بين الزوجين [17].

في حين أن بعض علماء الاجتماع قد سوّغ أسباب الطلاق بعدم استقرار الزواج بفعل وتأثير العائلة الممتدة، وهذا النمط من الأسر الأكثر شيوعًا في المناطق الريفية وغياب الأسرة الفاعلة حيث تفضل الأسرة الممتدة زواج الأقارب، وهذا القرار هو محصلة نظام اجتماعي اقتصادي يطبق فيه الزواج المبكر، حيث تزوج أولادها وهم ليسوا على قدر كبير من المسؤولية، ولأن الأسرة في هذه الحالة تتكفل بالإنفاق على الزواج، فإنه يغيب دور الزوج في المساهمة في المعيشة؛ مما يضعف دوره في الأسرة الجديدة، كذلك فإن تأثير انفراد الأسرة الممتدة بطريقة اختيار الزوجة التقليدية يغيب دور الزوج أو الزوجة بالاختيار.

وهنا قد تظهر بعض المشاحنات والتوترات بين الأفراد في هذه العائلة، وخاصة بين الحماة أو ابنتها أو مع زوجة أخ الزوج، وهنا يبدأ الصراع من أجل فرض مراكز القوة في العائلة.

وأخيرًا يظهر تأثير بعض المعتقدات المنبثقة من الثقافة لتلك الأسر كالاعتقاد بالسحر والاعتقاد بالفأل الجيد والسيئ، والحظ والنحس، مما يكون لها تأثير واضح في الحياة الزوجية

---

[16] - انظر: أسماء مصطفى دبوس وآخرون، الحياة الأسرية لمنطقة غربان من واقع سجلات المحكمة الشرعية، دراسة في مصادر تاريخ ليبيا الحديث والمعاصر، جامعة عين شمس، كلية البنات، ليبيا، 2014، ص 50.

[17] - مصطفى الخشاب، علم الاجتماع العائلي، مطبعة لجنة البيان العربي، القاهرة، 1966، ص 243.

التي قد تنتهي بالطلاق، خاصة بين غير المتعلمين من الطبقة الاجتماعية الدنيا، وهناك أبعاد بين الزوجين تتعلق بينهما من ناحية الرضا أو الإشباع أو الوفاء الزواجي تؤدي إلى الطلاق [18].

ويمكن تلخيص أسباب الطلاق التي أشارت لها الكثير من الدراسات بالشكل الآتي:

- سوء الاختيار والإكراه وعدم الكفاية.
- الفساد الأخلاقي وعدم الالتزام بالواجبات من أحد الطرفين أو كلاهما.
- الخيانة الزوجية.
- عوامل الإثارة والفساد في التقانات الحديثة والإعلام والتربية.
- برود العلاقة الزوجية بين الزوجين.
- الشح والتقتير وعدم الإنفاق على الرغم من المقدرة.
- الفهم الخاطئ لمفهوم القوامة (الرجال قوامون على النساء).
- عمل المرأة وإهمالُ واجباتها الزوجية والأسرية بذريعة المشاركة في النفقات.
- الزواج من أجنبيات.
- تعاطي الكحول أو المخدرات، ومصاحبة أصدقاء السوء.
- تكرار حالات الطلاق في أسرة أحد الزوجين أو كلاهما [19].

ب- مشكلة الطلاق خلال سنوات الحرب السورية (2011-2018):

أكد القاضي الشرعي الأول محمود المعراوي، ازدياد حالات الطلاق في سورية، حسب الإحصائيات الموجودة لدى المحكمة الشرعية؛ مقارنة بين سنوات الحرب وما قبلها.

وتبين من خلالها أنه في عام 2010م بلغ عدد عقود الزواج 21000 عقد، وشمل جميع أنواع عقود الزواج (إداري، تثبيت، دعاوى) قابلها في العام نفسه 5318 حالة طلاق.

كذلك فإن عقود الزواج المسجلة لدى المحكمة الشرعية في عام 2013م وصلت عقود الزواج إلى 23110، قابلها 5210 حالة طلاق، وفي عام 2014م سجلت المحكمة الشرعية 27355 عقد زواج، قابله 6514 حالة طلاق، لترتفع عام 2015م عقود الزواج إلى 33000 عقد زواج، قابلها 7028 حالة طلاق، وفي عام 2016م سجلت المحكمة 27430 حالة زواج، ليقابلها 7423 حالة طلاق .

وبمقارنة بين النسب المذكورة، تبين ارتفاع نسب الزواج وقابلها ارتفاع في نسب الطلاق الذي وصل إلى أوجه في عام 2016م بنسبة (27,6 %) من حالات الزواج، فضلًا عن أن 70% ممن يملكن العصمة من الزوجات في سورية طلقنّ أنفسهنّ من أزواجهن .

---

[18] - علياء شكري وآخرون، علم الاجتماع العائلي، ط2، دار المسيرة، عمان، 2011، ص 68.
[19] - انظر: فيصل الزراد وآخرون، دراسة تشخيصية لظاهرة الطلاق في دولة الإمارات العربية المتحدة، دار القلم، دبي، 1987، ص 276-295.

وبحسب إحصائيات القصر العدلي في مدينة دمشق حول معدلات الزواج والطلاق، فإن نسبة الطلاق ارتفعت عام 2017م إلى 31%، وبلغ عدد حالات الطلاق في دمشق 7703 حالة، فيما بلغت حالات الزواج نحو 246979 حالة، أي إن نسبة الطلاق ارتفعت بنسبة 6% مقارنة بما قبل عام 2011م [20].

انتشرت حالات الطلاق في سورية بشكل غير مسبوق، حتى أصبحت بعض الزيجات تستمر بضعة أشهر فقط، وفي بعض الأحيان أيامًا معدودة، ومع ازدياد حالات التدهور النفسي والاجتماعي والتفكك الأسري الذي يخلفه الطلاق ، إن ظروف الحرب في سورية أسهمت بشكل كبير في تفاقم ظاهرة "الطلاق السريع"؛ بسبب الاختلاط المفاجئ الذي سببته حركات النزوح والتهجير بين سكان المحافظات السورية وخاصة الأرياف، حيث بات من الصعب معرفة جذور وخليفة العائلات الأخرى؛ بحسب عادات وتقاليد الكثير من السوريين، لاسيما المُتبع منها قبل فترة الخطوبة. وخاصة حين يدعي الشاب المُقبل على الزواج أنه ذو خلفية علمية ومن أصحاب الشهادات، ونظرًا لعدم القدرة على معرفة الحقيقة من قبل أهل الفتاة - بسبب التهجير والنزوح - لخلفية الشاب الاجتماعية، ويتم الزواج وسرعان ما يتفاجأ أهل الفتاة بكمية الكذب بوضع الشاب وأسرته وغالبًا ما يكون قد حصل الحمل؛ مما يضطر بعض النساء للبقاء مع الزوج فقط بداعي الأمومة، في حين تضطر بعضهن لطلب الطلاق لعدم التكافؤ، في حين تجد بعضهن قد هجرت من قبل الزوج فتضطر للجوء إلى المحكمة لتطليق نفسها.

ولعل غياب الفهم الصحيح لمفهوم بناء الأسرة والزواج، واختلاف قيمة الحياة الزوجية لدى بعض الناس؛ فضلًا عن الحرب التي فرضت ظروفًا معيشية واقتصادية صعبة، من الأسباب الرئيسة المؤدية إلى فشل العلاقة بعد عدة أشهر والطلاق في النهاية، وعلى الرغم من اختلاف الحالات والمواقف التي تؤدي إلى الطلاق، إلا أن التسرّع في اختيار شريك أو شريكة الحياة دون تحري الدّقة والبحث عمّا إذا كان الشخص الآخر شريكًا مناسبًا بعيدًا عمّا سيقدمه من أمور مادية ، يُعَدُّ أبرز تلك الأسباب.

كما تسببت الحرب في خلق أسباب جديدة للطلاق، لم تكن شائعة في المجتمع السوري، كحالات اختفاء الرجال لفترات طويلة عن بيوتهم، حيث تم تسجيل نحو 6946 حالة طلاق تحت بند دعوى تفريق لعلة الغياب [21].

5- الأمية:

لقد تطور مفهوم محو الأمية وتبدلت مضامينه مع تطور أهدافه ووظائفه ، وتسارع التقدم التقاني (التكنولوجي) وحاجات سوق العمل، وتزايد الوعي، وتنامي حركات التحرر القومي .

وفي مطلع القرن العشرين وحتى عام 1950م، كان يُعَدُّ أميًّا كل شخص لا يجيد القراءة والكتابة.

---

[20] - ارتفاع نسب الطلاق في سورية بنسبة 6% خلال الحرب، موقع هاشتاغ سورية، بتاريخ: 11-2-2019. آخر مراجعة للمقال بتاريخ: 29-4-2019.
https://hashtagsyria.com/2019/02/11.

[21] - رهام غازي، أسباب ونتائج ارتفاع نسبة الطلاق في سورية إلى 31%، موقع الحل، بتاريخ 1-10-2018، آخر مراجعة للموقع بتاريخ: 29-4-2019.
https://7al.net/2018/10/01.

وفي عام 1951م عَرفت لجنة خبراء تابعة لليونسكو الشخص الأمي بـ: " هو الشخص القادر على قراءة وكتابة وفهم نص بسيط وقصير يدور حول الوقائع ذات العلاقة المباشرة بحياته اليومية ".

وفي عام 1958م، أوصى المؤتمر العام لليونسكو حرصًا منه على توحيد إحصاءات التربية بالتعريف الآتي للأمي: " هو الشخص الذي لا يستطيع أن يقرأ ويكتب بفهم بيانًا بسيطًا وموجزًا عن حياته اليومية ".

وفي عام 1962م تبنت لجنة أخرى برعاية اليونسكو تعريفًا آخر لإنسان غير الأمي على الشكل الآتي: " يعد ليس أميًا كل شخص اكتسب المعلومات والقدرات الضرورية لممارسة جميع النشاطات التي تكون فيها الأبجدية ضرورية لكي يؤدي بفاعلية دوره في فريقه وفي جماعته ، وحقق في تعلم القراءة والكتابة والحساب نتائج تسمح له بمتابعة توظيف هذه القدرات في خدمة نموه الشخصي، ونمو الجماعة ، كما تسمح له بالمشاركة النشطة في حياة بلده" .

إن التعريف الأخير يركِّز على توسيع مضمون تعليم الأميين وإغنائه، كما يركِّز أيضًا على ما يسمى بمحو الأمية الوظيفي، وعلى مشاركة الفرد في نمو بلده وتطويره .

وفي معظم الإحصاءات المقدمة للمنظمات الدولية تعد الدول عادة أن الأمي هو الشخص الذي يجهل القراءة والكتابة. وهذا من شأنه أن يخفض أعداد الأميين الفعليين، ويعطي صورة جيدة عن النظام التعليمي في الدول المعنية ، لكن إذا اعتمدنا التعريف الأخير للأمية الذي تبنته اليونسكو عام 1962م، تنقلب الصورة، وتغدو أعداد الأميين ونسبها أعلى بكثير مما تتصور، فالأشخاص الذين نعدهم رسميًّا غير أميين، كثيرًا ما يعجزون عن القيام بمهمات بسيطة يطلبها المجتمع منهم، وينبغي أن نعد أمثال هؤلاء في زمرة الأميين، وعند ذلك تتضارب الأرقام الرسمية التي تقدم عن الأمية مع واقع الأمية .

أما الاستراتيجية العربية لمحو الأمية التي صدرت عن مؤتمر الإسكندرية الثالث لمحو الأمية المنعقد في بغداد (عام 1976م)، فقد استهدفت تحرير الإنسان الأمي من أميته الأبجدية والحضارية معًا ، وفي آن واحد ؛ وذلك بالوصول به إلى مستوى تعليمي وثقافي يمكنه من:

- تملك المهارات الأساسية في القراءة والكتابة والحساب إلى المستوى الذي يتيح له متابعة الدراسة والتدريب.

- الإسهام في تنمية مجتمعه، وتجديد بنيانه لتوفير المناخ الحضاري والاجتماعي الذي يحفز الفرد على الاستمرارية في التعليم.

وبهذا الهدف يمكن تجاوز مفهوم محو الأمية في إطاره الضيق المقتصر على تعليم القراءة والكتابة والحساب؛ كونه مفهومًا يتناول عملية هامشية عاجزة عن الوفاء باحتياجات الأفراد كمًّا وكيفًا إلى مجالات أكثر اتساعًا وشمولًا ليأخذ نشاط محو الأمية مضمونًا حضاريًا يرتبط بحركة المجتمع وسياق التقدم الحضاري، والتغييرات الاجتماعية المصاحبة [22].

أ- أهم مشروعات محو الأمية في ريف دمشق:

---

[22] - غادة الجابي، تعليم الكبار والتعليم للجميع، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، 2014، ص 29-30.

- **المشروع التجريبي لتنمية القطاع النسائي (1979-1980):**

في إطار المواجهة الشاملة للأمية الأبجدية والحضارية في منطقة غوطة دمشق الشرقية وضع الجهاز العربي لمحو الأمية وتعليم الكبار ضمن مشروعاته لعام 1979م تنفيذ مشروع تجريبي نسائي في منطقة غوطة دمشق، وتعاونت وزارة الثقافة مع الاتحاد العام النسائي ومحافظة ريف دمشق في تنفيذ هذا المشروع، وقد تم تشكيل لجان في قرى المشروع، وإقامة ندوات للتوعية، والمشاركة في الدورة التدريبية لإعداد العاملات في المشروع التجريبي.

وقد اشتملت البرامج التي قام بها المشروع التجريبي في (17) قرية في منطقة غوطة دمشق على أربعة أنشطة رئيسة، هي:

- النشاط التعليمي.

- النشاط المهني.

- نشاط الثقافة الجماهيرية.

- نشاط العون الذاتي.

وتضمن النشاط الأول - النشاط التعليمي (محو الأمية وتعليم الكبار – التعليم الإلزامي – التعليم المستمر).

وبلغ عدد المنتسبات والمنتسبين إلى صفوف محو الأمية لمرحلتي الأساس والمتابعة (978) خلال (10) أشهر.

النشاط الثاني – النشاط المهني: وهدف هذا النشاط إلى تأهيل المتحررات من الأمية مهنيًّا، أي الربط بين دورات محو الأمية ودورات التأهيل المهني.

وبلغ عدد المستفيدات من دورات التأهيل المهني (952) مستفيدة.

النشاط الثالث – نشاط الثقافة الجماهيرية: واشتمل نشاط الثقافة الجماهيرية على عدد من البنود هدفت إلى توعية المجتمع نساء ورجالًا، وذلك عن طريق:

- لقاءات مع الرجال في قرى المشروع ضمن ندوات بقصد الدعوة إلى محو الأمية.
- لقاءات مع النساء في قرى المشروع، وحثَّهن على الانتساب إلى صفوف محو الأمية والتأهيل المهني ، وتوعيتهن اجتماعيًّا .
- إقامة ندوات صحية، تشرف عليها طبيبة تعمل في المنطقة، وكذلك إقامة ندوات اجتماعية، وعرض أفلام ثقافية وثائقية.

النشاط الرابع – نشاط العون الذاتي والخدمات: قدم المشروع بعض الخدمات للمنطقة، منها: متابعة موضوع افتتاح مدرسة ابتدائية في مزرعة الأفتريس وموضوع مستوصف صحي في إحدى القرى تلبية لرغبة المواطنين، وعلى الرغم من انتهاء المدة المحددة للمشروع فقد استمر نتيجة حرص القائمين عليه على الاستجابة لرغبات الأهالي في ذلك.

وكانت محصلة العمل خلال أشهر (حزيران – تموز – آب – أيلول) افتتاح (65) دورة لمحو الأمية والتأهيل المهني والتمريض، وبلغ عدد الدراسات في هذه الدورات (869) دراسة .

وقد قام وفد من الجهاز العربي لمحو الأمية وتعليم الكبار بتقويم المشروع ميدانيًّا، حيث عدّه من المشروعات الرائدة الناجحة، وعرض ذلك في اجتماع المجلس الاستشاري للجهاز العربي لمحو الأمية وتعليم الكبار الذي عقد في تونس عام 1980. [23]

- **مشروع محو أمية النساء والتربية المدنية للمرأة في محافظة ريف دمشق:**

تعاونت وزارة الثقافة مع الاتحاد العام النسائي، ومحافظة ريف دمشق، ومنظمة اليونسكو في تنفيذ هذا المشروع في كل من داريا، والمعضمية، وصحنايا، وأشرفية صحنايا) منذ النصف الثاني من عام 1985م.

وركّز المشروع على تحقيق الأهداف الآتية:

- الربط بين محو أمية النساء وتأهيلهن مهنيًّا.

- تدريب الأطر العاملة في محو الأمية على تحسين واقع المرأة الريفية.

- إنتاج مواد تعليمية للدارسين ونماذج أولية لحقائب تعليمية.

- الاهتمام بمحو الأمية بين الريفيين في المنطقة؛ مما يؤدي إلى آثار إيجابية على إنجاح المشروع.

اشتمل البرنامج على ثلاثة جوانب، هي: (التعليمي، والمهني، والثقافة الجماهيرية) .

ضمن البرنامج تم اصدار سلسلة من الكتيبات، منها: (الصحة العامة في الأسرة، وتربية الطفل العربي، وأمنا الشمس، وتلوث البيئة، والاقتصاد المنزلي، والوقاية من المرض) .

كما أعدت حقيبتان تعليميتان حول: (الصحة العامة في الأسرة، والكرمة زراعة واحدة وصناعات متعددة).

جرى توسيع النشاط ليشمل كلًّا من (ناحية ببيلا، وقرية بيت سحم)، واستمرت الصفوف المفتتحة لمرحلتي التعليم الأساسي والمتابعة في النصف الثاني من عام (1988م) وكذلك دورات التأهيل المهني، وافتتحت صفوف ودورات جديدة، وعقدت لقاءات مع الوحدات التابعة لكل من (ببيلا، وداريا) ووضع برنامج عمل للاجتماع مع المواطنات في كل قرية من قرى المشروع [24].

- **مشروع إحداث مركزي بصرى والرستن الرائدين لتعليم المرأة الريفية وتدريبها مهنيًّا:**

نفذت هذا المشروع وزارة الثقافة بالتعاون مع الاتحاد العام النسائي وبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي، أسهم في تمويله أيضًا صندوق الأمم المتحدة لتنمية المرأة (اليونيفيم)، وبرنامج الخليج العربي لدعم منظمات الأمم المتحدة الإنمائية (أكفند)، وأمدته بالخبراء كل من منظمة اليونسكو، ومنظمة العمل الدولية، وتعاونت المكاتب المختصة في قيادة الاتحاد مكتب محو الأمية، ومكتب التأهيل المهني، ومكتب الإعلام، ومكتب التنظيم، من أجل تنفيذ هذا المشروع، مع المكاتب المماثلة في فرعي (حمص ودرعا) وفي رابطتي بصرى والرستن، وهو أول مشروع ينفذ وطنيًّا بالتعاون بين وزارة الثقافة والاتحاد العام النسائي.

---

[23] - غادة الجابي، تعليم الكبار والتعليم للجميع، مرجع سبق ذكره، ص 53-54-55.
[24] - انظر: غادة الجابي، المرجع السابق نفسه، 2014، ص 56-57.

استهدف المشروع الإسهام في رفع مستوى المرأة الريفية التعليمي مع إعدادها للانتظام بالنشاطات المولدة للدخل، وتأكيد مساهمتها الفاعلة في المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية عن طريق تحريرها من الأمية، وإكسابها المهارات التعليمية والمهنية التي تمكنها من كسب دخلها، والنهوض بمستواها ، ومستوى أسرتها، ومستوى محيطها ومجتمعها.

امتدت فاعليات المشروع إلى (23) قرية في منطقتي بصرى والرستن حيث بلغ عدد المواطنات المتحررات من الأمية (2064) مواطنة، تدربن في دورات مهنية، تدر عليهن ربحًا، وتساعدهن على زيادة دخولهن، وأضيفت قرى جديدة في عامي (1990-19991م).

وقد نفذت دورات تدريبية لإعداد الأطر المتخصصة لتنفيذ المشروع، كما نفذت دورات تدريبية للأطر التعليمية في أثناء الخدمة، أشرف عليها المستشار الدولي لمحو الأمية لدى اليونسكو، ونظمت ندوات صحية واجتماعية وزراعية ، كلفت بعثة لتقويم المشروع من المنظمات المساهمة في تمويله، قامت بمهمتها خلال شهر آذار (1992م)، ووضع برنامج خاص لذلك، من شأنه التعرف إلى النتائج التي أسفر عنها المشروع في مجالاته المختلفة. وبشكل عام عدّت البعثة أن المشروع قد حقق أهدافه. وأوصت أن تستمر الجهات المعنية في تنفيذ الفاعليات والأنشطة التي من شأنها توسيع القاعدة وتعميقها.

كما قدمت بعثة أخرى في النصف الثاني من عام (1992م) من مجلس حكام صندوق الأمم المتحدة للسكان وبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي و(اليونيفيم)، وقام بعض أعضاء البعثة بزيارة مركز بصرى، واطلع على أنشطته، وكان انطباعهم إيجابيًّا[25].

إن التطور التعليمي الذي شهدته سورية أسهم في انخفاض معدلات الأمية حيث كانت نسبة الأمية في عام 1960م تشكل (63%) وفي العام 1980م حوالي (30%) وفي العام 2001م حوالي (18%) .

كما أظهر التعداد السكاني عام 2004م أن نسبة الأمية للسكان (15 سنة) فأكثر قد انخفضت من (27,5%) في عام 1994م إلى (19%) في عام 2004م على المستوى الاجتماعي وتتفاوت هذه النسبة بين الذكور والإناث حيث بلغت لدى الذكور (12,1%) مقابل (26,1%) لدى الإناث [26].

وكان مكتب الإحصاء المركزي في سورية أصدر عام 2008م تقريرًا قدر فيه نسبة الأميين في سورية بحوالي (5%)، من عدد السكان الذين تجاوز أعمارهم (15) عامًا، مشيرًا إلى أن معدل انتشار الأمية ينخفض بنسبة (8%)، سنويًّا، وهذا سيؤدي بدوره إلى اختفاء الأمية من سورية بحلول عام 2015م، حسب بيانات المركز الاحصائي.

ب- محو الأمية خلال الحرب على سورية (2011- 2018م):

لكن مع **اندلاع الحرب في سورية** في بداية عام 2011م حتى عام 2018م حدثت جملة من المتغيرات التي أسهمت في تزايد عدد الأمية في المجتمع السوري وخاصة في المجتمع السوري الريفي المهجر، حيث بات أكثرُ من ثلث أطفال الحرب في سورية يواجهون خطر

---

[25] - غادة الجابي، المرجع السابق نفسه، ص 57- 58- 59.

[26] - انظر: عبد الفتاح العبيد، التقرير المحلي حول وضع ومدى تقدم تعليم الكبار في الجمهورية العربية السورية المقدم للتحضير للمؤتمر الدولي السادس لتعليم الكبار في البرازيل أيار 2009، وزارة الثقافة، دمشق، ص 2- 3.

التحوّل إلى جيل أميّ أو في أحسن الأحوال من غير المتعلمين لا يعرفون القراءة والكتابة إلا القليل، ورغم كل المحاولات التي تُبذل على خط الحدِّ من هذا الخطر وهو أن يصبح جيل سورية المستقبلي أميًّا في ظل انقطاع أعداد كبيرة عن التعليم .

والمشكلة تكمن في أنه كلما تقدّم الطفل بالسن وهو منقطع عن المدرسة تكون عودته شبه مستحيلة، كما أن عددًا كبيرًا من المنقطعين عن الدراسة تجاوز انقطاعهم الست سنوات وهو ما يصعّب عودتهم، وإذا حصل باتوا بحاجة لبرامج خاصة، وانطلاقًا من الواقع الذي تعيشه العائلات السورية والفقر ، بحيث يضطر الشباب للانقطاع عن الدراسة للعمل سعيًا وراء لقمة عيشهم، فإن عدد الإناث أكثر من الذكور، في نسبة التسرب من التعليم .

6- التسرب المدرسي في الريف السوري:

إن العمل في ميدان الزراعة يشكل السبب الرئيس الكامن وراء تسرب أبناء الريف السوري من المدرسة، فقد تكون العادات والتقاليد بتزويج الفتيات بسن مبكرة في الريف، كذلك العمل بالزراعة للذكور من أهم أسباب تسرب التلاميذ في الريف السوري الذي لا يزال يخضع للعادات والتقاليد المتوارثة في مسألة التعليم .

فالعمل في الزراعة يضاعف من ظاهرة التسرب الموسمي للتلاميذ من المدارس، فظاهرة التسرب ما تزال تعاني منها الكثير من مناطق سورية، لاسيما في شرق البلاد وشمالها.

وتفيد إحصائيات وزارة التربية السورية بأن نسبة المتسربين في بعض المناطق، لاسيما الريفية تصل إلى أكثر من الثلث خلال مواسم جني المحاصيل الزراعية. ومن أبرز الأسباب وراء ذلك ، مواسم الهجرة التقليدية التي ما تزال موجودة في البيئة البدوية التي تهاجر إلى أماكن توفر القوت والماء لقطعان الأغنام.

غير أن حالات التسرب لا تقتصر على المجتمعات البدوية فقط؛ بل تشمل أيضًا مناطق التجمعات الريفية والحضرية حيث العائلات الفقيرة بحاجة لعمل الأبناء خلال مواسم جني القطن والزيتون، فتنخفض نسبة التسرب في العام نفسه وتعود إلى الارتفاع في العام ذاته عندما لا يوجد عمل في الأرض أو مواسم قطاف.

وتزيد نسبة التسرب في صفوف الفتيات على مثيلتها لدى الفتيان لأسباب أخرى في مقدمتها عدم تقدير الكثير من العائلات لأهمية تعليم الفتاة بسبب تقاليد وعادات عفا عليها الزمن، ومن هذه العادات تزويج الفتيات بشكل مبكر وإلزامهن بعمل المنزل.

ففي الريف السوري هناك أسباب تعود إلى معتقدات دينية تنطوي على التعصب تحول دون إرسال الفتاة إلى المدرسة ؛ إذ يرى بعض الآباء أنه لا يجوز إرسال الأنثى إلى المدرسة كي لا يراها الذكر على اعتبار أنها "بؤرة لإثارة الملذات والشهوات، ما قد يجعل الناظر إليها يرتكب ذنوبًا ويأخذ سيئات عند التمعن في النظر إليها". كما يوجد مجتمعات عشائرية ترفض إرسال بناتها إلى المدرسة، كونها تنظر إلى الأنثى على أنها "للمطبخ والزوج والأولاد".

وهنا تكمن صعوبة التدخل والتوعية في تعليم الفتيات ومحو أميتهن". من الصعب التدخل في حياة المجتمعات العشائرية ؛ بسبب ديناميكيتها وطبيعتها التي ترعرعت عليها منذ عدة قرون" [27].

أ- التسرب من التعليم الطريق نحو عمالة الأطفال والأمية:

إن تدني الوضع الاقتصادي لأيّ مجتمع وما يلازمه من انخفاض، بالمستوى التكنولوجي يتسبب في الطلب المتزايد على الأطفال للعمل في المصانع، ولاسيَّما في الصناعات والأعمال البسيطة التي لا تحتاج لمهارات معينة، وبتفاقم الفقر وتصاعد نسبة التضخم وازدياد البطالة، فقد تكاثرت أعداد العائلات التي تعيش في ظروف اقتصادية صعبة، وهي تصبح بذلك جاهزة للدفع بأطفالها إلى سوق العمل. وقد أشارت العديد من الدراسات إلى أن نسبة كبيرة من الأطفال يتوجهون إلى العمل لمساعدة أسرهم ، يليها الصرف على الذات؛ أي أن الهدف الأساسي لعملهم هو الحصول على ربح مادي لتوفير حد أدنى للعيش الكريم.

- **ومن أهم الأسباب التعليمية التي تدفع بالأطفال للعمل الآتي:**

- عدم الالتحاق بالتعليم الأساسي: حيث يُعَدُّ من أحد الأسباب المباشرة لعمل الأطفال.

- عدم استيعاب التعليم الأساسي لجميع الأطفال: فقلة الاستيعاب في التعليم الأساسي هي من أسباب قصور التعليم ؛ وبالتالي هي من الأسباب الأساسية لعمل الأطفال.

- الاعتقاد السائد لدى الكثير من الناس بعدم جدوى التعليم من الناحية المادية.

- خلو المناهج من التحفيز والإبداع ورعاية المبدعين؛ فضلًا عن قلة البرامج اللامنهجية والنشاطات والأندية الرياضية والاجتماعية التي تنمِّي وتصقل مواهب الأطفال.

- التسرب من التعليم ، حيث أثبتت الدراسات أن مشكلة التسرب من التعليم تؤدي دورًا كبيرًا في إفراز مشكلة عمل الأطفال.

- تدني العائد الاقتصادي والاجتماعي من التعليم.

- إجبار الإناث على ترك المدرسة لمساعدة أمهاتهم في الأعمال المنزلية.

تشير الإحصاءات العالمية التي نشرتها منظمة العمل الدولية إلى أن عدد الأطفال العاملين في العالم للعام 2012م قد بلغ 215 مليون طفل، بينهم 15 مليون طفل عامل ومتسرب؛ مما يؤكد أن الطفل الذي يتخلى عن حقه بالتعليم (طوعًا أو قسرًا) ويترك المدرسة يتجه إلى سوق العمل. ولصغر سن هؤلاء الأطفال وجهلهم بعواقب الأمور، فإن الإحصاءات تشير إلى أن (115) مليون طفل من مجموع الأطفال العاملين يمارسون أعمالًا خطرة، منها: الجسدية، والنفسية، أو الجنسية، أو الاستغلالية، أو الأخلاقية، أو الصحية، وغيرها ويتعرضون لخطر الأمية نتيجة تركهم المدرسة بسن مبكرة [28].

ب- التسرب المدرسي في ظل الحرب على سورية (2011-2018م):

---

[27] - **عفراء محمد، تسرب التلاميذ في سورية - ظاهرة يفاقمها الفقر والعادات وغياب تفعيل القانون، بتاريخ 21-2-2010.**
آخر مراجعة للموقع بتاريخ: 30-4-2019.
https://www.dw.com/ar.

[28] - **انظر: عبد الله سهو الناصر، التسرب من التعليم الطريق المفتوح نحو عمل الأطفال، عمان، 2014، ص 121-122-123.**

أجريت دراسة عام 2019 عن التهجير وعلاقته بالتسرب الدراسي في ظل الحرب على سورية بعنوان: دراسة ميدانية على أسر مهجرة من الريف إلى مدينة دمشق [29].

يعاني المجتمع السوري من ظاهرة تسرب التلاميذ من المدارس بأعداد كبيرة، وفي مقدمة ذلك الفتيات، رغم قانون التعليم الإلزامي ، فالفقر والحاجة لعمالة الأطفال؛ فضلًا عن العادات والتقاليد من الأسباب الرئيسة لانتشار هذه الظاهرة؛ غير أن فترة الحرب التي مرت بها البلاد (2011-2018م)، جاءت بكل الظروف التي تسمح بزيادة ظاهرة التسرب المدرسي، وخاصة في السنوات الثلاث الأولى للحرب، وأهمها التهجير، والأضرار التي أصابت بعض المدارس، في كل المناطق التي سيطر عليها الإرهاب؛ فضلًا عن ارتفاع الأسعار، وضعف الحالة المادية للأسر، وصعوبة العيش، وعدم قدرة العائلات خاصة المُهجَّرة منها على القيام بمصاريف الأولاد، والدراسة، والأعباء المادية المتزايدة؛ بسبب (أجرة البيوت) التي أقاموا فيها خلال فترة نزوحهم إلى مدينة دمشق، أمام هذه الأسباب الاستثنائية، ارتفعت حالة التسرّب المدرسي، وخاصة في مرحلة التعليم الإلزامي، والتي تشمل المرحلة العمرية بين (6-15) سنة، وازدادت بشكل بات يهدّد جيل الغد في سورية، بخطر الأمية، فبسبب ترك المدرسة بسنٍّ صغيرة أدى ذلك إلى نسيان الأطفال ما تعلموه من خلال السنوات القصيرة التي قضوها في المدرسة.

- **واقع التسرب المدرسي في المجتمع السوري خلال سنوات الحرب:**

عُرِفت سورية قبل الحرب التي بدأت في (15 آذار2011)، بتقدمها في مجال التعليم المدرسي، والجامعي، ولطالما فاخرنا بالتعليم المجاني في بلدنا، ومحاربة الأمية لدرجة أصبحنا نعلن فيها عن محافظات خالية من الأمية؛ مثل: السويداء، ودرعا، والقنيطرة وطرطوس للشريحة العمرية من (15 حتى سن45 سنه)، ومحافظات أخرى مثل (الحسكة والرقة وحلب ودير الزور) ما تزال تعاني من نسبة تسرب عالية لتلاميذ المدارس الابتدائية والإعدادية فيها، رغم وجود قانون إلزامية التعليم حتى سن الخامسة عشرة [30] .

ولكن ما إن اندلعت الحرب على سورية ، حتى أصابت بنيرانها قطاع التربية، والتعليم فدُمرت المدارس وأحرقت، واستَهدفت الطفل السوري مرارًا وتكرارًا لدرجة أصبح المجتمع مهددًا بخسارة جيل كامل من الأطفال الذين هجروا، واضطرتهم ظروفهم للابتعاد عن المدرسة.

وبحسب الأرقام والإحصائيات التي تتنوع مصادرها، يزيد كل عام معدل التسرب المدرسي، ففي العام 2013م زادت نسبة التسرّب بما لا يقل عن (10%) عن العام 2012م ، وأوضحت مديرية التعليم الأساسي في وزارة التربية أن نسبة التَّسرُّب في المحافظات السورية بلغت في عامي 2012 و2013م حدود (6.2%) مع تفاوت في نسبتها من محافظة لأخرى، وحسب تقارير مختلفة فقد بلغ عدد الطلاب المتسربين من العملية التعليمية خلال العام الدراسي 2013-2014م، نحو نصف مليون تلميذ وتلميذة، مقابل (4) ملايين التحقوا بمدارسهم في جميع المحافظات، ومن خلال إحصائيات وزارة التربية تبين أن عدد الطلاب في سورية عام 2011م،

---

[29] - عبير سرور، التهجير وعلاقته بالتسرب الدراسي في ظل الحرب على سورية: دراسة ميدانية على أسر مهجرة من الريف إلى مدينة دمشق، جامعة دمشق، دمشق، 2019.

[30] - أكاديمية DW، منتدى ثقافة ومجتمع، مقال بعنوان: تسرب التلاميذ في سورية - ظاهرة يفاقمها الفقر والعادات وغياب تفعيل القانون، آخر مراجعة للموقع بتاريخ: 14-8-2019.

http://www.dw.com/ar/

وصل إلى ما يقارب (5,536,668) تلميذًا/تلميذةً، وعدد التلاميذ الملتزمين في العام الدراسي 2013-2014م بلغ أربعة ملايين تلميذًا / تلميذةً، موضحًا أن نسبة التسرب المدرسي في سورية لاتصل إلى (30%).

وعندما نقول إنَّ (27%) نسبة التَّسرُّب للعام 2016م، هذا مؤشر خطر لفترة زمنية قادمة، أي حوالي (مليون ونصف المليون) تلميذ / تلميذة متسرّب، كما بلغ عدد التلاميذ العائدين من التسرب للعام الماضي 2017م (81470 تلميذاً)، وفي تصريح آخر لوزارة التربية، لإحدى وسائل الإعلام المحلية بيّنت أنه يوجد مليون تلميذ متسرّب في الخارج في لبنان وتركيا.

وتكشف أرقام وزارة التربية أن الأضرار لحقت بـ 4382 مدرسة في محافظات القطر العربي السوري، منها 1494 مدرسة متضرّرة، لكنها لاتزال تستقبل التلاميذ. ومنها 2888 مدرسة غير مستثمرة ضمن العملية التعليمية، و379 مدرسة مدمّرة بالكامل، و1489 مدرسة لا يمكن الوصول إلى موقعها الخطر، فيما خرجت 510 مدرسة عن الخدمة مؤقتًا إلى حين إصلاحها واستثمارها مجددًا في العملية التربوية [31].

كما أوضحت أرقام وزارة التربية أن هناك 510 مدارس تستخدم كمراكز إيواء للمتضررين، منها 319 مدرسة تستخدم للإيواء بشكل كامل ، والباقي بشكل جزئي، حيث عملت وزارة التربية على استخدام عدد من المدارس جزئيًا لاستقبال المتضررين والطلاب في الوقت ذاته، وتزيد الكلفة التقديرية للأضرار التي أصابت القطاع التربوي على 110 مليارات ليرة سورية، في حين أنّ تقديرات التحاق التلاميذ بمدارسهم تتراوح ما بين (70%) إلى (72%) [32] .

وإن التركيز على التسرب الدراسي في مرحلة التعليم الأساسي، لا يعني أبدًا إهمال ما يتم في المراحل الأخرى الثانوية والجامعية؛ بل على العكس فهي أكثر بكثير من حيث الأعداد أو من حيث نسب الاستيعاب، ولكن التركيز على هذه الفئة ينبع من كون الطفولة هي المرحلة العمرية التي تؤسس لشخصية الإنسان في كل مراحل حياته. "مرحلة الطفولة هي أهم مراحل النمو وأكثرها تأثيرًا في حياة الفرد ، فهي بداية تربيته وتنشئته وإذا كانت البداية صحيحة وسليمة، سيتابع الطفل نموه بعد ذلك بشكل سليم، وإدراكًا لأهمية الطفولة يسعى كل مجتمع إلى الاهتمام بأطفاله ؛ لأنه إذا فعل ذلك فإنه يهتم بحاضره ومستقبله، فأطفال اليوم هم رجال الغد" [33].

لذلك فإن الإعداد العلمي للطفل، والذي يتم عن طريق المدرسة التي تعد من المؤسسات الهامة في تزويد الأطفال بالثقافة، واكتساب المهارات، والقيم الضرورية لتحقيق تطلعاتهم، وإن ترك المدرسة يؤدي إلى زيادة المشكلات التي يمكن أن يتعرض لها الطفل في هذه المرحلة العمرية ، كما أن تسرب الطفل من المدرسة فرصة كبيرة لجنوحه، وانحرافه؛ لذلك يشكل التعليم ضرورة وحاجة من حاجات الطفل والمجتمع، كما أن هذه الإحصائيات تعطي دلالات على أن المجتمع السوري في السنوات المقبلة سوف يعاني من ارتفاع في نسبة الأمية ضمن فئة الشباب

---

[31] - موقع آرام نيوز، مقال بعنوان، الحرب السورية تفاقم التسرب المدرسي، آخر مراجعة للموقع بتاريخ: 16-8-2019.
https://www.eremnews.com/latest-news/193409

[32] - موقع آرام نيوز، مقال بعنوان، الحرب السورية تفاقم التسرب المدرسي، آخر مراجعة للموقع بتاريخ: 16-8-2019.
https://www.eremnews.com/latest-news/193409

[33] - أماني عبد الفتاح، عمالة الأطفال كظاهرة اجتماعية ريفية، عالم الكتب، القاهرة، 2001، ص23.

نتائج البحث:

<u>النتيجة الأولى:</u> يعد تسرب التلاميذ من التعليم مشكلة كبيرة، وتعد من أخطر الآفات التي تواجه العملية التعليمية في أي مجتمع ، ومستقبل الأجيال في المجتمعات المختلفة؛ لكونها تولد مشكلات اجتماعية لا تقتصر في تأثيرها على التلميذ فقط؛ بل يتعدى لمشكلات قد تكون الأخطر على المجتمع. فهي تزيد من معدلات الأمية وتدني مستوى التعليم، والجهل، والبطالة وتضعف البنية الاقتصادية للمجتمع.

يُعَدُّ التهجير السبب الرئيس في ترك التلاميذ المدرسة ، وعدم التحاقهم بها بعد استقرارهم في مدينة دمشق ، فكان (76%) من العينة يرون أن السبب الأساسي في تركهم المدرسة هو التهجير من بيوتهم التي ألفوها، وصعب عليهم التكيف مع البيئة الاجتماعية الجديدة، فباتوا يشعرون أنفسهم غرباء عن هذه الأحياء التي سكنوها، لا يعرفون أحدًا، وابتعدوا عن أقاربهم وأبناء قريتهم أو مدينتهم التي ولدوا ونشأوا فيها، فباتوا يشعرون بالغربة والخوف من كل جديد يحيط بهم ، في حين أن (6%) عَدُّوا العادات والتقاليد هي السبب في ترك المدرسة، فنحن نعرف أن الأرياف غالبًا ما يتوجه أبناؤها للعمل بدلًا من العلم بالنسبة للذكور الذين يشكلون موردًا اقتصاديًّا لأسرهم، أما بالنسبةِ للفتيات، فأغلبُ الأسر الريفية لا تزال ترفضُ تعليم الفتاة رغم إلزامية التعليم في المجتمعِ الريفي، في حين أنَّ (18%) عَدُّوا التهجير وعدم التأقلم مع المكان الذي هجروا إليه والتعامل السيئ... هو السبب الرئيس في تركهم المدرسة.

استقر المهجرون في منزل إيجار؛ الأمر الذي ولَّدَ جملة من الأعباء المادية للأسرة المُهَجَّرة المنهكة التي فقدت كلَّ شيء في المناطق التي هجرت منها، في حين أن (2%) في مراكز إقامة مؤقتة، و(16%) استقروا عند الأقارب، وهذا أدى إلى العديد من المشكلات الاجتماعية من تدخل في شؤون الأسرة المهجرة من قبل الأقارب؛ مما أدى إلى حالة من القلق الدائم لدى أفراد الأسرة، فهو يُحَمِّلها العديد من الأعباء الاقتصادية الإضافية، وعدم الاستقرار في منطقة واحدة، حيث قد يتم تغير المكان ضمن فترات متقاربة قد تكون ثلاثة أشهر أو ستة أشهر أو سنة، حسب عقد الإيجار للمنزل المؤجر؛ مما يُحَمِّل التلاميذ عبء التكيف مع المكان الجديد، في كلِّ مرة يتم فيها الانتقال لمنزل جديد، فكثرة تنقل التلميذ من مدرسة إلى أخرى، يؤدي إلى تسربه من المدرسة؛ بسبب عدم مواكبته للمواد الدراسية من مدرسة إلى أخرى، واختلاف طرق التعليم من معلم إلى آخر، فيجد نفسه متأخرًا دراسيًّا لعدم فهم بعض المواد؛ مما يضطر إلى التغيب والتسرب من المدرسة.

<u>النتيجة الثانية:</u> للتسرب أسباب عديدة متشعبة ومتداخلة تتفاعل مع بعضها لتشكل ضاغطًا على التلميذ وتدفعه إلى التسرب، والسير في طريقِ الجهلِ والأمية، ولكن هذه الأسباب تختلف في زمن الحروب والأزمات، وهذا ما يكشف عنه عينة البحث التي أجري عليها البحث الميداني، والتي عدّت أن عدم القدرة على مصروف المدرسة بسبب ضغوط التهجير بنسبة (22%)، ويتصدر هذا السبب الأسباب التي دفعتهم لترك المدرسة، فلوازم المدرسة من لباس وأدوات مدرسية بحاجة لمبالغ مادية لم تكن الأسرة المُهَجَّرة قادرة على توفيرها لأبنائهم في تلك الفترة ، كانت أولوية تأمين نفقات السكن والطعام والشراب هي أولوية الأسر المهجرة، في حين كان حاجة الأهل لعملي أكثر من دراستي من خلال عملي أساعد أهلي ماديًا هو السبب في ترك الدراسة بنسبة (16%) من عينة البحث، فالأعباء المادية على الأسرة جعلتها تشجع أبناءها وخاصة الذكور لترك المدرسة والتوجه لسوق العمل لـتأمين مورد مادي إضافي يعين الأسرة،

فترك المدرسة يرجع لضعف الحالة المادية لأهل التلميذ؛ الأمر الذي يدفعه إلى ترك المدرسة بحثًا عن أعمال بأجور قد تكون منخفضة، وقد يكون هذا العمل غير مناسب لبنيته الجسدية؛ مما يولِّد العديد من الأخطار التي يمكن أن يتعرض لها بسبب هذا العمل، مع ذلك توجه إلى العمل رغبة منه في إعالة أسرته. في حين كانت الأسباب (التعامل السيئ مع الطفل المُهَجَّر من قبل أصدقاء المدرسة) و(أشعر بالنقص تجاه بقية التلاميذ)[*] و (عادات وتقاليد)[**] تتساوى في التأثير لدى العينة ، فكانت نسبة التأثر لدى العينة بكل سبب تساوي (8%) ، في حين كان ترك المدرسة بسبب " الخطبة والزواج" (6%) كذلك نسبة السبب (استهزاء التلاميذ بالطفل المهجر) ، في حين شكل سبب التعامل السيء من قبل المدرسين مع التلاميذ (4%)[***] ومن المعروف أن المدرسة تعد مؤسسة اجتماعية تتعامل وتتفاعل مع الواقع الاجتماعي العام، ولذلك لها تأثير مهم في بناء شخصية الطفل، ولكن سوء معاملة بعض المعلمين للتلاميذ، وعدم مراعاة ظروفهم الاجتماعية والاقتصادية، اتباع أسلوب العقاب البدني له تأثير سلبي مما يثير الخوف لديهم ويبعدهم عن المدرسة، ويؤدي إلى تسربهم، وإن غياب التعامل التربوي الصحيح والإنساني في حل المشكلات من قبل بعض المعلمين الذين يتجهون إلى استخدام الأساليب القسرية التي تترك آثارها النفسية العميقة في نفوس تلاميذهم، تجد خيار ترك المدرسة هو المفضل لديهم، في حين كان عدم الرغبة في التعلم من قبل التلميذ المتسرب في عينة البحث تشكل (2%). كانت الأسباب التي أدت إلى ترك المدرسة من قبل الذكور في المقام الأول هي حاجة الأهل لمورد اقتصادي جديد، وعدم القدرة على تحمل نفقات المدرسة، وكانت أسباب ترك المدرسة بالنسبة للإناث ، تتجلى بخوف الأهل عليهن بسبب انعدام الأمان؛ وخاصة في السنوات الأولى من الحرب، وانتشار القذائف الإرهابية في كل مكان، وكذلك العادات والتقاليد التي كانت تسيطر على عقلية تلك الأسر المهجرة والتي تجد في تعليم الفتاة أمرًا غير مهم وغير ضروري.

هذه الأسر التي عاداتها وتقاليدها تنمي الاتجاهات الخاطئة نحو التعلم، والتي تشجع على عدم اكمال الفتاة للتعليم ، وكان عدد الفتيات من عينة البحث اللاتي تركن المدرسة بسبب العادات والتقاليد (4) فتيات، وكان الحلُّ الذي يلجأ له من قبل الوالدين هو تزويج الفتاة للتخلص من نفقاتها:(الطعام – الكساء)، فكانت الخطبة والزواج، سببًا في ترك المدرسة لدى (3) فتيات من عينة البحث.

<u>النتيجة الثالثة:</u> تعد الأسباب الاقتصادية، ومنها انخفاض المستوى المعيشية للأسرة سبباً مهمًّا في الكثير من المشكلات التي تكون نتيجة لها، هذه الحاجة التي باتت أكثر إلحاحًا في ظل الحرب التي يعيشها المجتمع السوري ، وخاصةً الأسر الريفية التي هجرت وسكنت مدينة دمشق، حملها التهجير عبء استئجار منزل ، أو المكوث في مركز إقامة مؤقت الذي كان مرفوضًا كحل بالنسبة لأغلبية الأسر الريفية المهجرة ، كما أن الإقامة لدى الأقارب لم يكن الأمر المحبب لكلا الطرفين ، لخصوصية كل أسرة.

*** - " كنت أخجل وقت روح ع المدرسة لأن يعرفوني مهجرة، ولأن كون رايحة مو لابسة لبس المدرسة، فكانوا رفقاتي بالصف ما يقبلوا يلعبوا معي ولا حتى يقعدوا جنبي، لهيك قررت اترك المدرسة واقعد بالبيت ". (مقولة لفتاة من عينة البحث).**

**** - " أهلنا بالأساس ما بيحبوا العلم للبنت يعني حتى بدون أزمة هنن ما بيحبوا يعلموا البنت، لأنو بيعتبروا تعليم البنت متل قلته آخرتها لبيت زوجها، وخاصة مع تكاليف المدرسة والتهجير ما قبلوا يبعتونا للمدرسة، وخاصة لانو سكنا عند أقاربنا صار الكل يتدخل فيني " (مقولات لفتيات من عينة البحث).**

***** - " كان المدرسون بالمدرسة يتعاملوا معنا بشكل كتير سيئ، ويعتبرونا سبب لكل مشكلة تصير بالصف، وعقوبتنا يوقولنا نازح، يعني ما كانوا يقولولنا مهجر، وما يهتموا فينا متل بقية الطلاب، ويطالبونا بأدوات مدرسة أطلبها من أهلي وأهلي مو قدرتهم يجيبولي هالشي كله، وفي حال ما جيب هالشي آكل عقوبة لهيك قررت أترك المدرسة وأرتاح من البهدلة كل يوم من المدرسين" (مقولات لعينة البحث).**

النتيجة الرابعة: يُعَدُّ فقدان أحد الوالدين أو فقدان الاثنين معًا سببًا مهمًّا في تفكك الأسرة، هذا في الحالات الطبيعية، وهذا ما أوضحته العديد من الدراسات الاجتماعية، ففقدان أحد الوالدين يؤدي إلى تركز الضغوط الأسرية في اتجاه واحد باتجاه الأم أو الأب، وفي حال فقدان كليهما تنصب الضغوط على الأبناء الأكبر سنًا سواء الذكور أم الإناث، ففقدان الأبوين أحدهما أو كلاهما يؤدي إلى وجود ثغرة في بنية الأسرة يترتب عليها العديد من الواجبات تجاه أفرادها يعمل على تلبيتها الأكبر سنًا، وغالبًا ما يكون الابن الذكر الأكبر، وهذا ما يجعل الطفل يتجه للعمل بدل الدراسة .

وماذا لو كان الظرف اضطراريًّا كما هو الحال في ظل الحرب التي يعيشها المجتمع السوري الذي يتطلب فيها توفير الاحتياجات الأساسية للأسرة عمل كافة أفرادها، وخاصة في حال غياب أحد الوالدين.

يلاحظ أن (44%) من عينة البحث المتسربين من المدرسة الوالدان (الأب والأم) على قيد الحياة ويعيشون في منزل واحد، في حين (56%) من العينة كان الوالدان غير متواجدين في المنزل، إما بسبب فقدان أحد الوالدين ونسبتهم من العينة (40%)، أو بسبب طلاق الوالدين ونسبتهم (12%)، أو بسبب فقدان الوالدان معًا ونسبتهم (4%).

ومن خلال ذلك يتضح حجم الضغوط التي ترافق الأسرة الريفية المهجرة ، سواء كان التَهجير أو المعيشة أو فقدان المعيل لتنتقل المسؤولية للأبناء.

فمن المعروف أن الأسرة هي المسؤولة الأولى عن إشباع الحاجات الأساسية والثانوية للطفل، فكيف إذا كانت بيئة هذه الأسرة مضطربة، لا يوجد فيها الحد الأدنى من المستلزمات الأساسية لتأمين حياة مستقرة وآمنة، هذا كله أسهم بشعور الطفل بعدم الاستقرار النفسي؛ مما دفعه إلى الخروج لميدان العمل ليسهم اقتصاديًّا بسد حاجاته أولًا ، وحاجات أسرته ثانيًّا، التي لم تعد في سنوات الحرب والتهجير مقتصرة على الطعام والشراب والكساء؛ بل تجاوزتها لتأمين المسكن الذي يعادل تأمينه ما ينتجه كافة أفراد الأسرة خلال الشهر الواحد؛ الأمر الذي يدفع الطفل إلى القيام بأي عمل مهما كان وتحت أي ظرف، لتأمين مورد مادي يسهم في دعم أسرته اقتصاديًّا، ومن هذه الأعمال: العمل في الشارع، والتسول، والسرقة ... إلخ.

ـــــــــــــــــــ انتهـــــــــــــــــــى ـــــــــــــــــــ

مع التمنيات بالتوفيق

د. عبير سرور